

ظاهرة الحنين في شعر أحمد عبدالمعطي حجازي ومنوتشهر آتشي  
الدكتورة عزت ملا إبراهيمي/ (أستاذة مشاركة بجامعة طهران) (الكاتبة المسؤولة)  
حامد جنادله (طالب مرحلة الدكتوراه بجامعة طهران)  
صبري أحمديان (الماجستير بجامعة طهران)

## A comparative analysis of nostalgia in the poetry of Ahmed Abdol Muti Hijazi and Manouchehr Atashi

Dr. Ezzat Molla Ebrahimi (Associate professor of Tehran University)

Hamed Janadele (Ph.D. student of Arabic Language and Literature)

Sabri Ahmadian (M.D. student of Arabic Language and Literature)

mebrahim@ut.ac.ir

### Abstract

The nostalgia is one of the most important field of psychology, that has a strong relationship with individual and collective memory. Sweet regret of "past" and its, oppositeness with "present" called Nostalgia. The concept of nostalgia dating back to the "Fall of Adam(Man)", and has long been devoted to the theme of many literary works. Ahmed Abdel Muti Hijazi and Manouchehr Atashi are two famous contemporary poets who the nostalgic sweet past is outstanding in their works. By considering their own experiences, they combined nostalgia and regretful sadness in the great part of their poetry. This research is a descriptive – analytical study, which is based on the theories of comparative American school to compare the nostalgia concept in these two poems work. The findings of this article show that both poets have the different manifestations of nostalgia by the homesickness, memories of childhood, loss of values and imagine of a utopia.

**Key words:** Ahmed Abdel Muti Hijazi, Manouchehr Atashi, nostalgia, Homesickness,

### المخلص

ظاهرة الحنين والنوستالجيا من أبرز قضايا علم النفس ولها علاقة وطيدة بالذاكرة الفردية والجماعية. التحسر على الماضي الرغيد والمقارنة بينه وبين الزمن الحاضر هو ما يعبر عنه بظاهرة الحنين. مفهوم الحنين له ماضٍ قديم قدم النبي آدم عليه السلام وقد تجلى في الكثير من الدراسات الأدبية. الشاعران عبدالمعطي حجازي ومنوتشهر آتشي من أبرز الشعراء الذين تبلور في شعرهم ظاهرة الحنين والغربة، فقد خصصا لها قسماً وافراً من ديوانهما الشعري. تهدف هذه الدراسة إلى القيام بموازنة هذه الظاهرة لدى هذين الشاعرين بالاعتماد على نظريات مدرسة المقارنة الأميركية من خلال المنهج الوصفي التحليلي. فيبدو من نتائج البحث أن كلا الشاعرين قد اشتركا في تبلور مظاهر الحنين من مثل أسى الاغتراب وذكريات الطفولة وضياح القيم ورسم الطوباوية (يوتوبيا) في شعرهما.

**الكلمات المفتاحية:** أحمد عبدالمعطي حجازي، منوتشهر آتشي، الحنين، الغربة، الأدب المقارن.

### المقدمة

يعاني الإنسان في عصرنا الزاهن من الآلام والمكابد المختلفة حيثما كان، وقليلاً ما نجد بين المعاصرين من يشعر بالراحة والهدوء و فراغ البال. وإثر هذه الآلام، يتراءى لنا نوع من الشعور عند الأشخاص وهو العودة إلى ماضيهم وتذكر ذاك الماضي بصورة معظمة مفخمة. ولعلّ الشخص يتخلص هذه العودة والحنين والشوق إلى الماضي من المشاكل وتتسلى همومه بقدر الإمكان. ومن الملاحظ أنّ الشعراء العرب المعاصرين ولاسيما الرومانسيين بارعون في تصور تلك العودة والحنين في قالب الألفاظ والأخيلة والقصائد اللطيفة ذات المعنى الرومانسي. وهذه العودة إلى الماضي واستدعاء الذكريات السالفة تسمى "الحنين إلى الماضي" في الأدب العربي و"النوستالجيا" في الأدب الغربي.

إنّ الحنين أو النوستالجيا (Nostalgia) كلمة فرنسية من مصطلحات علم النفس. إذ تشير إلى الألم الذي يعانيه المريض إثر حنينه للعودة إلى بيته وخوفه من عدم تمكنه من ذلك للأبد. مضافاً إلى هذا فإنه في مرجعيته الغربية يدل على التحسر على الماضي أو البلد الذي أبعد عنه لأسباب، وفي أبسط تعريفها تدلّ على الرجوع إلى الماضي وحب شديد له واستدعاء شخصياته وأحداثه وأمكنته مع البسط والتفصيل في الذكريات التي تتعلق به (ميرأحمدي والآخرين، 2012، 152) فإن الحنين تعنى في اللغة العربية، التحسر على الماضي والشعور بالغربة وأسى البعد عن الوطن. وقد جاء بمعنى الفراق ومرارة البُعد والانفصال والشعور بالغربة والتحسر على الماضي والآمال القديمة بإمكاننا القول أن ظاهرة الحنين إلى الماضي تعني التأسف على الفائت والتشكي من الحال (عمر والآخرين، 1989، 888).

ينقسم الحنين إلى الماضي في الشعر العربي المعاصر إلى قسمين على الإطلاق؛ 1- الفردي: وهي نوع من الحنين إلى الماضي بصورة تتجلى في الذكريات الشخصية للشاعر حيث نراه في ألواح حياته من الأحداث والمواقف والمشاعر. 2- والاجتماعي: ففي هذا القسم يساير الشاعر أفراد مجتمعه ويشاركهم في آلامهم وأفراحهم، في شقايمهم وسعادتهم، ويحنّ إلى ما فاتهم من التراث الشعبي والقيم الاجتماعية (ميرأحمدي والآخرين، 2012، 154). ولهذا التحسر فردية كان أو جماعية، علاقة وثيقة بالذكريات، ذكريات عهدي الطفولة والشباب الجميلة وذكر أيام اللقاء و... تتضوي تحت مظلة ظاهرة الحنين إلى الماضي الفردية والذكريات الجماعية الضاربة في تاريخ الأمم والشعوب تندرج في نطاق الحنين الجماعي. يجب التنويه إلى أن الحنين الجماعي من الممكن أن يعم الجنس البشري من مثل التحسر على البعد عن الطبيعة وعهد التعايش معها (فورست، 1380: 53). فيعد موضوع الحنين والاعتراب في العصر الحديث من أكثر المصطلحات الفلسفية والنقدية تداولاً بين الفلاسفة والنقاد، فهو يمس جانباً من جوانب أزمة الإنسان الحديث؛ «فقد أصبح إنسان هذا العصر منفصلاً انفصلاً حاداً لم يسبق له مثيل سواء عن الطبيعة أو المجتمع أو الدولة...» (رجب، 1978، 8).

من بين المدارس الأدبية الغربية نرى ظاهرة الحنين تتجلى بأحسن صورها في المدرسة الرومانسية. فالرجوع إلى الماضي والحنين إليه من أبرز سمات هذه المدرسة؛ الإنسان الذي قد فقد بسبب حياته المدنية الصناعية الحديثة كل أسباب الطمأنينة وبساطة العيش القروي واندماجه بالطبيعة وهو يسعى إلى الهروب منها ما استطاع لاجئاً إلى عهد الطفولة ذات الأحلام وإلى حضن الطبيعة والحرية والانطلاق من آلام والمخاوف (ناصر، 1996، 36). لذلك نرى أن أحد أسباب ازدياد الشعور بالغربة والحنين لدى الشعراء هو التطور السريع الذي يمر به العالم الحديث.

أحمد عبدالمعطي ومنوتشهر آتشي من أبرز الشعراء المعاصرين الذين تجلى في شعرهما العديد من السمات الرومانسية مثل تقديس الحبّ والحرية والحنين والشعور والخيال والطبيعة والحنين إلى الماضي، فنرى كلا ضربتي الرومانسية السياسية والغزلية في شعرهما. إضافة إلى أن كلا الشاعرين قد قضيا قسطاً من عمرهما في الاعتراب. فقد عاش حجازي عهداً من الزمن في فرنسا وآتشي في أميركا. لذلك قد تشابهت مضامينهم الشعرية في أسى الاعتراب والبعد عن الوطن وذكريات الطفولة والطوباوية (المدينة الفاضلة أو رسم يونوبيا). يسعى المؤلفون في هذا البحث إلى الإجابة عن السؤالين التاليين ما هي أبرز مظاهر ظاهرة الحنين لدى الشاعرين وما هي أوجه التشابه والاختلاف بينهما؟

**حياة أحمد عبدالمعطي حجازي:** ولد الشاعر في قرية تلا من محافظة منوفية بمصر سنة 1935م (شيخ، 1981: 55). فبعد الانتهاء من الدراسة الابتدائية انتقل إلى كلية المعلمين، لكنه بسبب انتمائه ونشاطاته السياسية حرم من العمل في الدوائر الحكومية. فلذلك تعهد تحرير صحيفة (يوم اليوسف) ومن ثم مجلة (صباح الخير). وبعد ذلك بقليل انتقل حجازي إلى فرنسا وعمل مدرساً في اللغة العربية وآدابها. فطبع الشاعر آنذاك مقالات عدة في صحيفة الأهرام (شامي، 1999: 3/37).

اشتهر حجازي في بداية حياته بالشعر والنقد في الأوساط الأدبية. و«كان الكشف عن مظاهر الطبيعة المتعددة والعودة إلى حضانها من أبرز ميزاته الشعرية» (سكاف، 1979: 19). أبرز مجموعاته الشعرية كالتالي: مدينة بلا قلب (1959)؛ أوراس

(1959)؛ لم يبق الا الاعتراف (1965)؛ مرثية العمر الجميل (1972)؛ كائنات مملكة الليل (1978)؛ أشجار الإسمنت (1989)؛ دار العودة (1983).

حياة منوتشهر آتشي: ولد الشاعر في عام 1310 هـ.ش في قرية دهرود التابعة لمحافظة بوشهر في إيران. قضى الشوط الأول من دراسته في مدرسة القرية، ثم واصل دراسته في مدارس كنجان وبوشهر... فبعد إتمام دراسته في جامعة شيراز انتقل إلى طهران لمواصلة الدراسة في فرع اللغة الإنجليزية وعمل الشاعر ما بين عامي 1332 إلى 1359 هـ. ش معلماً في المدارس الثانوية في طهران. عاد إلى بوشهر في عام 1359 هـ. ش بعد تقاعده. لكنه عاد إدراجه إلى طهران مرة أخرى وتوفي عام 1384 هـ. ش في طهران (تميمي، 1385: 21). اشتهر الشاعر باسم "تيما الجنوبي"، إذ أنه حذق الشعر الفارسي جيداً وسار على طريقة "تيما" -الشاعر المشهور الفارسي- متمتماً له بكل فخر ومهارة (تاجديني، 1384: 48). طبع آتشي العديد من المؤلفات، أبرزها: آهنگ ديگر [أغنية أخرى] (1339)؛ آواز خاك [غناء التراب] (1346)؛ ديدار در فلق [لقاء في الفلق] (1348)؛ بر انتهاي آغاز [على ختام البداية] (1350)؛ كزیده أشعار [مختارات شعرية] (1365)؛ وصف گل سوري [وصف وردة سورية] (1370)؛ گندم وگیلاس [القمح والكرز] (1371)؛ زيباتر از شكل قديم جهان [أجمل من صورة العالم القديمة] (1376)؛ چه تلخ است اين سيب [ما أمر هذه التفاحة] (1378)؛ خليج وخرر [الخليج وبحر الخزر] (1381)؛ ريشههاي شب [جنود الليل] (1384)؛ غزل غزلهاي سورنا [غزل سورنا] (1384).

### مظاهر الحنين في شعر حجازي وآتشي

#### 1- الحنين الطفولي

يتعلق هذا القسم من الحنين بحياة الشاعر الشخصية وتجربته الفردية وما يتضمنه، كالرجوع إلى طفولته وقريته. فالطفولة من أجمل مراحل العمر الإنساني. مع مرور الزمن لا يبقى منها سوى الذكريات والتحسرات. يجدر بالذكر أن بنية الذهن الأولى ولغته ولا سيما الشعراء تتكون في مرحلتي الطفولة والمراهقة. وإن هذه البنية ستؤثر بكل كبير في جمالياتهم الفنية. إذ أن الإنسان أكثر ما يتعلم في عهد الطفولة والمراهقة من بيئته. فذكريات الطفولة والحنين إليها تتجلى في شعرهما معاً. فحجازي كثيراً ما ينظر إلى عصره الذهبي ويتذكر أيام طفولته متحسراً. فيرى بعض الباحثين أن عهد الطفولة هو عهد الأبطال والعشق والأساطير الذي اهتم به شعراء الرومانسية كثيراً وذكره بحسرة وتأوه (سعيد، 1383: 132).

أشار حجازي في أشعاره إلى ذكريات الطفولة كثيراً بسبب ابتعاده عن الوطن. فهو في قصيدة "رسالة إلى مدينة مجهولة" يرسل أباه الذي يقطن في بلدة غامرة، فيعرض الشاعر في هذه الرسالة ذكريات طفولته ويرسم فيها وضعه المأساوي (أبو غالي، 1995: 33). فلذلك نهج الحنين لدى الشاعر مرّ وحزين جداً، فيرسم في شعره صورة قروي بائساً مثابراً يتجلى من خلاله شخصية الشاعر نفسه في عهد طفولته، فيقول في ذلك:

«مازلتُ طفلاً يا أبي، ما زالت الآلام/ أكبر مني، ما استطعتُ أنأمُ/ فستجيبُ يا أبي/ ومثلما كنتُ تعود في أماسي الشتاء/ تأتي إليّ/ عباؤك/ لاتفتأ الرياحُ تستثيرها/ تشدّها إلى الورا/ كأنها شرّاع مُركبٍ يصارع الأنواء/ ومثل غيم في ليالي الصيف يتركُ السماء للقمَر/ تتفشعُ الأحزانُ في روعي أحضنك/ بجفن عيني أحضنك/ وأستضيفك المساء كلّه حتّى السحر» (حجازي، 1982: 227، 228).

من غير شك أن الحنين إلى الطفولة أحد الموضوعات الرئيسة في شعر حجازي، فإن تذكّار طفولته يلعب دوراً هاماً في دواوينه الشعرية، وحب الطفولة عنده بذكرياته المرحّة شيء لا ينكر. فيتحدث حجازي عن ذكريات طفولته في قصيدة "الرحلة إلى الريف"، فيقول بعد وصفه لمظاهر الطبيعة الخلابة في قريته:

«يا موطني القديم/ نفسي التي أعتقها من سجنها الرّحيل/ تطوفُ فوقَ جَوِّكَ النَّبيل/ تلتمسُ العمرَ الذي انقضى هُنا/ تلتمس الذي نما من الشَّجر/ ومن رفاق الضَّحكِ والبُكاءِ إخوة الطفولة/ لعلهم يهينون الآن موكب الرواح/ وربما لم يكبروا، لم يشهدوا الرجولة» (نفس المصدر: 445).

يورد الشاعر في قصيدة أخرى بعنوان "هواي عليك يا محمد" ذكريات طفولته، إذ أنه مع شقيقه باتا يقضيان حياتهما بالوحدة ويصارعان مآسيها. فيطلب الشاعر في هذا القصيدة من "محمد" أن يحيى من خلال العزف على القيثارة ذكريات الطفولة المسحوقة أي موت الأب والقرية الزهراء وفي الختام تشرده وضياعه. فيقول:

«فإضرب.../ بطفولتِنا المظلومة!/ بأبيننا المُحتَضِرِ الأُشيب!/ بالدربِ الصَّاعِدِ من منزلنا/ إضرب بتشردنا بين الطُّرق المسدودة» (نفس المصدر: 519).

أولى تجليات الحنين في شعر آتشي ظهرت في صراعه مع مآسي عهد الطفولة في بيئته الجنوبية الحارة. إذ يلجأ من ضيق الصعوبات إلى عالم الطفولة النقي، فلذا يتذكر أيام طفولته في شعره كالتالي ويقول:

«تكرار كن لحظه‌های بازنیافتنی را/ خوابگردهای کودکانه را در نخستین غروب‌های بهار دشت تا ساقه‌های شاداب/ زیر پای سنگین چشم‌هایم خم شوند/ تا رویش علف‌ها را/ در کف پاهای عریان احساس کنم...» [أعد اللحظات غير المتكررة/ السرنامات الطفولية في أول غروب في ربيع السهل إلى الجذوع النضرة/ تتحني تحت أقدام عيني الثقيلة/ بحيث أشعر بنمو الأعشاب تحت قدمي الحافية...] (آتشي، 1386: 85).

يعتبر آتشي من أبرز شعراء الحزن والاعتراب وشعره مفعم بالحنين. نظراً إلى نفسية الشاعر الضاربة في الطبيعة فإن شعره يدور حول فكرتي القرية والطبيعة. بحيث يرى الشاعر العالم من خلال قرينه وأن مسقط رأسه هو نقطة بدء العالم. ترعرع الشاعر في أجواء الحياة الأقطاعية الريفية بكل جمالياتها من فروسية وبساطة وصدق والطبيعة الخلابة، تجلجا كلاهما في شعره بأبهى صورة. تبعاً لذلك فإن فقدانها بعث في شعره مشاعر الحزن والأسى. فيمكننا مشاهدة حزن الشاعر وأساء المنبعث على ذكريات الطفولة الجميلة في بداية رحلته الشعرية. فصورة الحصان البري الذي يرسمه الشاعر بإتقان نوعي في قصائده «يذكرنا بحصان عائلته المنهوك» (تميمي، 1385: 14).

في الحقيقة يرمز الحصان البري في شعره إلى الحياة الرغيدة التي رسمها الشاعر في وصف جلال قرينه وحميتها ولجوءه إلى دفاء حضان الطفولة. بعبارة أخرى فإن شعر آتشي تتجلى فيه ملامح الأرض الجنوبية من وطنه وذكريات الطفولة الرائعة. تتبلور هذه الظاهرة في أشعاره الأولى أكثر. فهذه القصائد حافلة بالمصطلحات والقصص الجنوبية الشعبية وذكريات الطفولة ومفعمة أيضاً بالمشاعر والأحاسيس. يذكر الشاعر في إحدى قصائده الناجحة طفولته بحسرة وتألّم ويتحدث عنها بلغة رمزية:

«اسب سفید وحشی/ در بیسه‌زار چشم جویای چپستی؟/ آن جا غبار نیست گلی رسته در سراب/ آن جا پلنگ نیست زنی خفه در سرشک/ آن جا حصار نیست غمی بستر راه خواب.../ اسب سفید وحشی/ خوش باش با قصیل تر خویش/ با یاد مادیانی بور وگسته یال/ شبیه بکش، مپیچ ز تشویش.../ اسب سفید وحشی اما گسته یال/ اندیشناک قلعه مهتاب سوخته است/ گنجشک‌های گرسنه از گرد آخورش/ پرواز کرده‌اند/ یاد عنان گسیختگی‌هایش/ در قلعه‌های سوخته ره باز کرده‌اند» [الحسان الأبيض البري/ ماذا تبحث في الغابات/ لا يوجد ثمة غبار وإنما وردة نمت في سراب/ لا يوجد نمر هناك بل امرأة مخنوقة بالعبرات/ لا حصار هناك، حزن رقاد/ الحصان الأبيض البري/ فافرح بأعشابك الطريئة/ بذكريات الفرس الشقر منفصلي الأعراف/ فاصهل ولا تكثرث بالتصفيق/ يا الحصان البري المنفصل العرف/ المتفكر في حصن القمر المحترق/ العصفير الجائعة من غباره/ قد طارت/ ذكريات هروبه/ قد فتح طريقاً في الحصون المحترقة] (آتشي، 1386: 30).

آتشي في شعره هذا المبني على تقنية المونولوج ومناجاة النفس يعبر عن أحاسيسه ويرمز لماضيه بالحصان الأبيض البري. فيرى الشاعر أنّ الرجوع إلى الطفولة والذات الإنسانية هو الحلّ الوحيد للهروب من رعب المدنية وجور الحضارة. ويقول:

«در این سماع مبارک/ که جای مولانا خالی است/ از چه بگویم؟/ از کوچه‌های شهرم/ که کودکی را/ در آینه‌های شکسته به تماشا گذاشتند حالا/ و شما می‌بینیدش/ از کوچه‌های تنگ آشتی به دستان گلستان می‌رود/ یا کودکی که زودتر از سال‌های عمرش از کتاب‌ها به در زده/ و به دنبال آهویی شتافته که بهرام را/ به مغاره بی بن کشاند/ به دنبال کیخسرو شعر.../ کودکی که هنوز هفتاد و دو سالگیش را به صحرا می‌برد/ و واژه‌هایش را/ نزدیک مرتع بزغاله می‌چراند...» [في هذا المجلس المبارك/ الذي يفتقد حضور مولانا/ عمادا أحدث؟/ من أزقة مدينتي/ التي تعرض طفولتي في المرايا المتكسرة/ وأنتم ترونها/ من الأزقة الضيقة يهرب الصلح إلى يدي البستان/ أو الطفل الذي هرب من الكتب أسرع من سنين عمره/ منتبهاً غزلاً هارياً/ جر بهرام إلى الكهف/ منتبهاً كيخسرو الشعر.../ الطفل الذي ما زال يصطحب عمره البالغ اثنين وسبعين عاماً إلى الصحراء/ ويطعم مفرداته بقرب مرعى الماعز...] (آتشي، 1386: 1898).

يرسم الشاعر بكل وضوح صراع المدنية والحياة المدنية ويعلن نفوره وتضجره من المدنية. وهو يكثر من التحدث في جمال الطفولة ويتمنى عودة أيامها النقية البسيطة. يرى الشاعر المدينة رمزاً للصراع الطبقي والازدواجية والقساورة بحيث أن عنصر العطف والحنان قد فقد في المدينة حتى أنها باتت تصطبغ بالفقر والإهمال. فيقول الشاعر:

«بیا به لحظه‌های خودمان برگردیم/ به جرعه گس چای صبح در انتهای گردنه کابوس/ هنوز که هنوز است/ در عرض جنگل فلز و نفت/ طول فرارهای کودکی‌مان را می‌جویم.../ بیا به لحظه‌های کوهی خودمان برگردیم/ به ناشتای نان گرم در آغوز بز کوهی/ در سایه سار دره‌های کبود که شعله‌های آتش یاغی‌ها/ مشبک‌شان کرده بود/ حال آدم به هم می‌خورد آخر/ از نیمه‌های ساندویچ و ته مانده غذا که/ عق می‌زنند آخر شب رستوران‌های دنیا/ در سطل‌ها... در غیبت نگاه گرسنه آفریقا/ از لاشه چلانده ایدز/ لای زیاله‌ها...» [تعال لنرجع إلى لحظائنا/ إلى رشفة الشاي صباحاً في ختام منعطف الكابوس/ ما زال/ في غابات المعدن والنفظ/ أبحث عن فرار طفولتي.../ تعال لنرجع إلى لحظائنا الجبلية/ تعال نتناول فطور الخبز الحار ولباً الوعول/ في ظلال المنحدرات التي قد مزقتها السنة نيران المتمردین/ تسوء حالة الإنسان/ من بقايا الشطائر والطعام التي تنبذه مطاعم العالم في سطل النفايات... في غياب العيون الجائعة في إفريقيا/ من الجثث المنقلصة بفعل الإيدز في النفايات...] (آتشي، 1386: 1273-1272).

يشير الشاعر في قصيدة إلى بساطة الطفولة ونصاعتها، ويعتقد أن الذات الإنسانية قد انغمست بالخطايا والمواقف وفقدت براءتها الطفولية بفعل تقادم سني الحياة في المجتمعات الحضرية. ويقول:

«ما را چه گناه ای ارواح شدید/ از ستمبر کودکی ما/ واز هم آغوشی شور بختی و شقاوت مبروص ما را چه گناه؟/ شیرین‌ترین آرزو/ حضوری خوش در رؤیایی است/ اتفاقی که باری می‌افتد/ و هزار بار نه» [ما ذنباً أيتها الأرواح الشديدة/ من سمك طفولتنا/ ومن تعانق الشقاء وسوء الحظ في نفوسنا؟/ أحلى الأحلام/ حضور في الأحلام/ الحدث الذي يقع مرة ألف مرة لا يقع] (آتشي، 1386: 102 - 103).

## 2- حنين الابتعاد عن الوطن

هذا القسم من الحنين يعني به الأمور التي لاتختص بالحياة الشخصية للشاعر بل نجدها عند الناس عامة، ناهيك عن أن هذا القسم يشتمل على أشياء يعرفها الناس وتتعلق بالاجتماع وهي الحنين إلى الوطن، والتراث الشعبي، والشخصيات التراثية والحضارة، ومصدر هذا النوع التجربة الجماعية. فالحنين إلى الوطن، «طبيعة في النفس البشرية ومرتبطة بكرامة الإنسان وعزته، وكانت ولاتزال الغربة عن الوطن همماً شديداً» (الجبوري، 2007، 9). فالشعراء أنشدوا في الغربة والبعد عن الوطن والديار التي تمزق أوتار قلوبهم وتشعل الحرق في فؤادهم. فكل ما مزج الشاعر شعره بأحاسيس التحسر والشوق إلى الوطن يسمى الحنون إلى وطنه. يرى علماء النفس أن الشعور بالاغتراب حالة عاطفية تحفيزية معرفية معقدة تنبعث من الحزن والرغبة في الرجوع إلى الماضي (Archer, 1998: p 407). الفرار من المدينة والإقبال على القرية والذي دائماً ما يصحب بصور أم الشاعر أو أيام طفولته وحياته المغتربة البعيدة عن الأهل والبلاد والصدقاء، أدت إلى انعكاس مشاعر الحزن والأسى في شعره. فأحمد عبدالمعطي حجازي ومنوتشهر آتشي كلاهما قد

ولدا في القرية وقد قضيا قسطاً من عمرهما في الاغتراب بعيداً عن الأوطان. فمن الطبيعي أن تتجلى في شعرهما عواطف التحسر وأسى الاغتراب عن الوطن والحنين إلى نقاء الجو القروي. يلجأ حجازي في قصيدة "سلة الليمون" من وحدته وقنوط الاغتراب إلى حزن الطبيعة الدافئ. يصور الشاعر في هذه القصيدة طفلاً قروباً سافر إلى المدينة ومن ثم يرسم من خلال ذاك الطفل وسلة الليمون حنينه المتزايد إلى وطنه وقرينته، فيقول:

«سلّة ليمون!/تحت شُعاع الشّمس المسنون/ والولّد ينادي بصوت المحزون/ عشرون بقرشٍ/ بالقرشِ الواحد عشرون!» (حجازي، 1982: 127).

ترمز القرية في شعر حجازي إلى البراءة والنقاء. فالقرية وكل ما يتعلق بها في نظره عنواناً للحياة الخالدة. لذلك يتحدث كثيراً في شعره عن استمرارية الحياة في القرى. فهو يرى أنّ القرية مهد الولادة والحيوية (حموده، 2006: 42)؛ على العكس تماماً توحى المدينة في شعره بمعاني القذارة والموت والموبقات والاحتتيال والقساوة والفظاظة (الجازي، 2011: 102). من هنا يستمع الشاعر إلى صدى في نفسه ويتمنى العودة إلى نقاء القرية وجمالها وسعادة الطفولة، فيقول الشاعر:

«حَمَلَتْها في غيشِ الإصباح/ لشوارعٍ مختنقات، مزدحمات،/ أقدامٌ لا تتوقّف، سيارات؟/ تمشي بحريقِ البنزين!/ مسكين!/ لا أحد يشمُّك يا ليمون!/ والشَّمْسُ تجفُّ ظلُّك يا ليمون!/ والولّد الأسمر يجري، لا يلحقُ بالسياراتِ/ عشرون بقرشٍ/ بقرشٍ واحد عشرون!» (الجازي، 1982: 128).

تعتبر هذه القصيدة صورة رمزية لحياة الشاعر. فحجازي يرى كل خصاله في سلة الليمون التي نقلها من القرية إلى المدينة. لذا يكرر كلمة الليمون أربع مرات في شعره. ما أجمله من ليمون أخضر وطريء ونديء تحفظه أوراقه من وهج الشمس، فهو يذكرنا بطراوة القرية ونقاها ويثير فينا مشاعر الحزن والحنين. فالليمون صباحاً في القرية يكون نضيراً وطريئاً لكنه ما إن يصيبه حرّ المدينة حتى يجف ويفقد مذاقه. فثمة اشتراك بين الشاعر والليمون في الشعور بالغبّة. فكلاهما قد فقد أجواء القرية ونقاها ونضارتها وساءت حالته في ظل الحياة المدنية (الجازي، 2011: 102).

فالشاعر بهذه الصورة يتحدث عن صعوبات الحياة المدنية ويرسم براءة الطفل القروي وقساوة التحضر وجفافه. فالتضامن والرحمة والتعاون معان لا نجدها في قاموس المدنية، لذا فهو يرجح القرية بكل بساطتها على المدينة. كذلك يشكو الشاعر من ضيق الحياة المدنية وأحاسيسها الباردة وأجواءها الرتيبة ومن شوارعها المرعبة. فهو في الحقيقة وقع بين قوتان متضادتان؛ الأولى شدة الازدحام والثانية فقدان الصديق الحميم (نفس المصدر: 144). فنرى نار الحنين إلى السهول والبساتين والأجواء القروية ساطعة في قلبه ولسانه لهج بذكر جمال القرية التي تزيل عن وجه المدينة الغبار والتراب. فيقول الشاعر:

«هنا المدى لا يعرف الحراس/ هنا أنا حرّ/ هنا الطيور تستطيع أن تطير/ هنا الثبأت لا يزال أحضر الرّداء.../ هنا الحقيقه التي لا تعرف الثلّون المقيت/ هنا الدّوام والثبوت» (حجازي، 1982: 442-443).

يرى الشاعر أنّ ثمة سمات لا يمكن أن نتصور المدينة بدونها من ثمل: الأسوار الشاهقة وناطحات السحاب ووسائل النقل الكثيرة وازدحام نسبة السكان والشوارع الضيقة المزدحمة. فهذه من أبرز خصال المدن التي يذكرها الشاعر في قصيدة "إلى اللقاء" كالتالي ويقول:

«شوارعُ المدينةِ الكبيرة/ قيعان نار/ تجتَرّ في الظهيرة/ يا ويله من لم يصادف غيرَ شمسها/ غيرَ البناءِ والسيّاحِ والسيّاحِ/ غيرَ المربعاتِ والمثلثاتِ/ والرّجاج» (حجازي، 1982: 129).

فالشعراء الذين ينتقلون من القرية إلى المدينة هم أكثر من يهجون المدنية. الاستعجال في عمليات التنقل والخوف والحيرة أمام وسائل النقل من أولى الأمور التي يشكو منها القرويون المهاجرون إلى المدينة (عباس، 1978: 90).

إذ أنهم ينتمون إلى مكان آخر يمتاز بالحيوية والحميمة والصفاء والنقاء والنضارة. يحتفل أشعار أحمد حجازي بشذوذ ومفارقات البيئة المدنية. في الواقع فإنه عندما تعرف على أجواء المدينة استطاع أن يدرك مدى أهمية القرية. فلذا قام برسم المدينة ومساوئها ليسلط الضوء من خلال ذلك على فضل القرية وجمالها. يصور الشاعر فيما يلي لياالي المدينة المرعبة ويقول:

«الليل في المدينة الكبيرة/ عيدٌ قصير/ النَّورُ والأنغامُ والشبابُ/ والسَّرعَةُ الحمقاء والشراب/ عيدٌ قصير/ شيئاً... فشيئاً، يسكتُ النَّعْمُ/ ويهدأ الرَّقْصُ، تتعبُ القَدَمُ/ وتكنسُ الرياحُ كُلَّ مائدةٍ/ فتسقطُ الرَّهْرُورُ/ وترفعُ الأحزانُ في أعماقنا روؤسها الصَّغيرة» (حجازي، 1982: 131-132).

وصل الشاعر إلى القاهرة أتياً من الريف مثل العديد من أبناء الريف الذين هاجروا منها بحثاً عن فرص أفضل في العاصمة المصرية، وقد انطلق الشاعر من المجتمع الصغير الذي يعرف الناس بعضهم بعضاً إلى مسافات واسعة وشوارع لا حدود لها، فهناك كل مظاهر الحياة مختلفة عن الريف، فالشاعر يتحدث عن الليل في المدينة ويصفه بأنه عيد قصير بسبب ما شاهده من حفلات تتراقص فيها الأنوار والأنغام بسرعة ويتلاقى فيها الشباب. إن حياة التحضر تبعث في نفس الشاعر مشاعر الوحدة والحنين. فنرى الصور الجلفة التي يرسمها الشاعر عن المدينة تغص بالشكاة والأسى. قساوة المدينة وثقل وطأتها أول ما يؤدي روح الشاعر وعلى العكس من ذلك القرية هي مبعث الذكريات الحسنة ومعدن الجمال. حتى أنه عندما يترك القرية بهدف الانتقال إلى المدينة ينقش كل جماليات القرية في قلبه. فالنسيم والسحاب وغروب الشمس وطبيعة القرية الخلابة كلها تثير في نفسه مشاعر الاغتراب والحنين إلى وطنه الأم. فلذا في المقطع الأخرى من قصيدة "الرحلة إلى الريف" يتحدث عن اشتياقه الشديد إلى الريف وحنينه المتفاقم إلى أجواءه ويقول:

«يا موطني القديم/ هذا أنا أفتحُ صدري للنسيم/ هذا أنا أرسل عيني خلفَ قطعان الغيوم/ حيث تبين من بعيدٍ مئذنه/ قصيرةٍ ولم يزخرها أحدٌ/ لكنّها وقد أحاطتها أشعةُ الغروبِ/ تبين صفراءً على قمامةِ الشَّجَرِ» (حجازي، 1982: 445-446).

جدلية القديم والحديث تتجلى بصورة بارزة في شعر منوتشهر آتشي أيضاً، فأسى الاغتراب بفعل التحضر يكثر في شعره. فهو قروي قضا قسطاً بسيطاً من عمره في القرية، لذا فهو يتحدث عن جمال ذكرياتها بلهفة واحترق. فذهن المتلقي لشعر آتشي يعرف أمكنة من مثل بلدة "دهرود" الحنونة وسهول "دشتستان" الجميلة وصورة طبيعتها الخلابة. فذكرها ما يفتأ يطن في أذن الشاعر وحلم الرجوع ما ينفك يراوده، فيقول:

«نگاه کن/ پس آن کوه/ پادانا/ به دست پیر توانا به دست چابک فرتوت/ که می سراید با رسته های بافته پشم/ گل و تفنگ و سر اسب/ تفنگ و اسب و گل راز/ ببین به چادر قشلاق/ فرود جلگه دهرود بر فراز زمان/ نگاه مات جهان را/ به دست چابک فرتوت/ که می نوازد بر چنگ تار رنگی پشم/ به چابکی سر انگشت چنگی ماهر» [أنظر/ إلى ذاك الجبل/ پادانا/ على يد الشيخ القادر على يد الرشيق القديم/ الذي ينشد بالخيوط الصوفية/ الورد والبندقية ورأس الحصان/ البندقية والحصان ووردة السر/ أنظر إلى خيمة البدو/ هبوط سهل دهرود على هام الزمن/ نظر العالم الأبيكم/ على يد الرشيق القديم/ الذي يعزف على الوتر الصوفي الملون/ برشاقة أصابع عازف ماهر] (آتشي، 1386: 205).

فآتشي في شعره يعلن عن ضجره من الحياة المدنية وبيروز حنينه إلى وطنه. فالشاعر في خياله ينتقل إلى صحراء لتسهيل عملية إنشاد الشعر إذ أنه يرى المدينة لا تتناسب مع حياة شاعر دقيق أنيق ذي مشاعر رقيقة. فهو يعتقد أن السهول والتراب وحتى طرق المدينة تختلف عن مسقط رأسه اختلافاً كبيراً مما يبعث الحنين إلى الوطن في نفس الشاعر، فيقول:

«داس وخورچینم را برمی دارم/ به بیابان/ تا اسب سفید شعرم را/ بافته ای قویلی علفی بر چینم/ خاک این جلگه دلی بی نمک است/ لف این وادی بی خون شیرین/ آب آبشخور بی چاشنی شوراب/ اسب چالاکم در گوشه اصطبل/ دمدم دارد فربه تر می گردد/ شیهه پر شورش/ مادیان وار و ظریف/ گوش تیز هوشش دارد کر می گردد/ آفتاب اینجا کم زور/ که بر کله اسب داغ سوزان جنوبی بزند» [أخذ منجلي وجرابي/ إلى الصحراء/ كي أجز لحصان شعري الأبيض نسيج علف/ تراب هذا السهل قلب دون ملح/ هذا الوادي

عديم الدم وحلو/ ماء المصدر المالح دون طعم/ حصاني الرشيق في زاوية المريض/ يسمن لحظة بلحظة/ سهيله العالي/ برشاقة وإناقة/ أذنه الذكية بدأت تصم/ الشمس هنا تعكس اشعتها على رأس الحصان الجنوبي الحار] (آتشي، 1386: 245).

الضجيج وازدحام المدينة بكل وسائلها النقلية ودخانها وزحمتها المرورية أدت إلى قساوة الناس وفضاظتهم. فالشاعر يرى أيضاً أنّ ظاهر السرعة والعجلة في المدينة تقضي إلى الاضطراب وعدم الأمن والإهمال وتحول الزمن إلى عنصر مولم حتى كأنّ الناس في سباق مع الأجل. فيقول:

«شهر ديوانه ای سرسام آور است/ خیابانها زیر چرخهای هراسان/ پس می کشند وبه ابتدای خود بر می گردند/ وماشینها یکدیگر را چنان دنبال می کنند که انگار/ هر یکی نشمه آن دیگری را قر زده است/ اما من کویرهایی می شناسم/ که شترهای تیر خورده زیر بار تریک/ به خون در غلتیده اند/ ومردی در هندو کش و دختری در میامی/ از غصه آه می کشند/ شهر/ دیوانه ای به زنجیر افتاده است/ بزرگ راهها/ چونان کهنه بی شمار گاو بازان ماهر/ بر اندام ساختمانها وفروشگاهها پیچیده اند» [مدینتی المجنونة متعبة/ الشوارع تحت الإطارات الخائفة المسرعة/ تلف على نفسها/ والسيارات تتبع بعضها البعض حتى كأنها ملتصقة/ لكنني أعرف صحاري/ فيها جمال مصابة بفعل الحيل ملطخة بالدماء/ ورجل في هندوكش وامرأة في الميامي ينوحان من شدة المأساة/ المدينة/ المجنون في الإغلاق/ الطريق السريع/ مثل خيول مصارعي الثيران الماهرين/ قد التفت حول البناءات والمحلات التجارية] (آتشي، 1386: 179).

يرى آتشي القوانين البشرية إغلاماً في العنق وقيوداً تمنعه من طريق الحياة، لذا يثور عليها بكل ما استطاع من قوة بلاغية. من هنا نرى بعض شعر يقوم على عنصرين متضادين من الحياة القروية والمدنية. في الواقع عملية خلق المعاني لدى الشاعر تتم من خلال جدلية المدنية والريف. من أبرز نماذج هذه الجدلية ما نجده في قصيدة؛ حكاية ذلك الرجل الذي دخل بحصانه في المدينة دون أن يعتني بقوانينها وممر دون أن يراعي الإشارات المرورية والضوء الأحمر، فيقول:

«باز آن غریب مغرور/ در این غروب پر غوغا/ با اسب در خیابان های پر هیاهوی شهر پیدا شد/ در چهارراه/ باز از چراغ قرمز بگذشت» [مرة أخرى ذاك المغرور الغريب/ جاء إلى هذا الغروب الصاخب/ بحصانه دخل الشوارع المزدهمة/ في تقاطع طرق/ تجاوز الضوء الأحمر دون أن يعتني به] (آتشي، 1386: 180).

في الحقيقة عدم اكتراث الشاعر بالمدينة وقوانينها ينم عن نفوره الشديد من ظوابطها التي سنّها الإنسان. لم يكتفي الشاعر بالتمييز بين المدينة والقريّة، بل قام بالترفضيل أيضاً بين القريّة القديمة والقريّة الحديثة. فظواهر الصناعة والتكنولوجيا والحداثة قد غزت ثقافة القريّة وقيمها صبغت بصبغتها. يوازن الشاعر بين شذوذ المدن وبين بساطة القريّة ويرى المدينة سجنًا لا يطاق. وفي قصيدة أخرى يرى الشاعر نفسه حائراً. هذا الشقاء هو الذي يشكل أساس الحزن والحنين لديه ويحدوه إلى البحث عن هويته الضائعة. كما أنه يرى ابتعاده عن مسقط رأسه سبباً في ضياعه وابتعاده عن هويته. فيقول:

«گم شدم/ از توانم از تتم/ گم شدم از این وآن/ گم شدم از او واز آنها/ گم شدم از شما... از تو هم/ گم شدم از دیارم/ از درختم از اتاق/ از اتاق میهنم/ از مربع پلاستیک صندوقم/ از مربع از مکعب از کره/ گم شدم/ از خودم/ گم شدم» [ضعت/ من قوتي من جسدي/ ضعت من هذه وذاك/ ضعت من ذاك وأولئك/ ضعت منكم حتى منك/ ضعت من بلادي/ ومن شجرتي ومن غرفتي/ ومن غرفة بلدي/ ومن كرسي/ ومن المربع ومن المكعب والدائرة/ ضعت/ من نفسي/ ضعت] (آتشي، 1386: 242-243).

مع ذلك يعبر الشاعر عن فرحه الكبير لتخصيص شعره في وصف جماليات القريّة إذ أن هذه القصائد تسلّي الشاعر أوان اغترابه عن وطنه القروي وحياته وسط المدن الصاخبة. فوصف الشاعر للقريّة يثير فيه الشعور بالرضا ويخفف من حدة الشعور بالوحدة والانزعال. حتى كأنما يقدم كل أشعاره إلى قريته معبراً فيها بكل كلمات الحزن والأسى عن حنينه إلى الريف كيما يخفف من حدة الشعور بالغربة والضجر النفسي.



«خوشا غريب وطن باشم ويخوانم غمناك/ فراز همين شاخه‌های سوخته/ کدام قناری گل در گلو/ ندای این پرنده سرگردان را/ پاسخ خواهد داد/ به جنگل از کندهای کبریتی؟/ پرنده‌ای که در آغوش سوسن و نرگس بیضه شکسته/ چه می‌داند این صدای زخمی/ از حنجره بلبلی/ با گلولی خراشیده بومی است؟/ و این گلولی چک چک از نوای زهر/ میان خرمن سزین درازقی/ چه بخواند/ که برنیاشود آرامش باغی را؟/ خوشا غريب وطن باشم ويخوانم راز/ بر همين شورزار ويس» لیا لیتتی استطعت النوم بعد اغترابي عن الوطن/ على هذه الاشجان المحترقة/ أي كناري مزغرد/ يجيب على صدى هذا الطير الحائر/ الطير الذي فقست بيضته في حزن السوسن والنرجس/ من أين يعرف أسي صوتنا المكلوم/ من حنجره العنديلين/ هل كان بخلق مخدوش محلي؟/ وهذا الحلق وقت الحصاد كيف يزغرد/ كي لا يكسر هدوء البستان؟/ ما أجمل أن تكون مغترباً مع إنشادك للسر/ على هذه المستنقع المالح] (آتشي، 1386: 121-120).

### 3- الحنين إلى المستقبل المثالي

من أبرز مبادي المذهب الرومانسي الحنين إلى المجتمع المثالي أي ما يسمى بالمدينة الفاضلة وهو ما يطلق عليه بالحنين الجماعي. ويطلق مصطلح المدينة الفاضلة على المؤلفات الأدبية التي تتناول قضية المجتمع المثالي. فالشاعر المعاصر إضافة إلى حنين القديم، يتمنى تحقق مستقبل مشرق لأبناء جلدته ويتوسل في ذلك بالمنقذ. هذا النوع من الحنين ينبعث عندما تتحول القيم إلى ضدها وتواجه بنى المجتمعات الثقافية والاجتماعية والسياسية صعوبات وتحديات كبيرة. وجود المدينة الفاضلة لهو تاريخ طويل قدم الحضارة الإنسانية؛ مذ نشوء المجتمعات الحضرية سعى الإنسان إلى إحداث المدينة الفاضلة. وكثيراً ما توصلها جنة الأرض التي لا يوجد فيها أي شائبة من مثل الآلام والحزن والأمراض والشيخوخة و...

«فكرة وجوة المدينة الفاضلة من الأفكار الدفاعية التي انتهجها الإنسان في مواجهة الصعوبات. عندما يقابل الإنسان الظروف والأوضاع غير المواتية تتشكل في ذهنه الفكرة المثالية. نفور الشعراء المعاصرين من البيئة المدينة من أكبر الأسباب التي تجعلهم ينتقلون إلى المدينة المثالية، لذا نرى الشعراء كثيراً ينشدون ويصفون المدينة الفاضلة في أشعارهم؛ هذه المدينة التي تمتاز بالعلاقات المثالية. فأحمد عبدالمعطي حجازي شاعر رومانسي، له ردود فعل سلبية تجاه المدن، والتي تجعله يربي في ذهنه المدينة الفاضلة أي الحيوي والثمالي لبيان العاهات الثقافية والاجتماعية وحلها» (أبو غالي، 1995: 363-364). فيتحدث الشاعر في قصيدته "خمس أغنيات للشيء المنسي" عن أفكاره المثالية التي تدور حول قضية افتقاد المنقذ وعبثية المستقبل المثالية. فالشاعر وشعبه يحلم بالمدينة التي يسودها الهدوء والصفاء والنقاء والدعة.

«نبحثُ عن مدينةٍ تمنحنا الأمان/ تمنحنا الرِّغيفَ والخمرَةَ والوجهَ الجديد/ تمنحُ وقتها السَّعيد/ لإبتنتنا التي ذوي جمالها/ وناء بالصَّبغة وجهها المهان!» (حجازي، 1982: 562).

وكذلك يأمل الشاعر في قصيدته "الرحلة ابتدأت: بمجيء المنقذ الذي ينجي الأمم والشعوب ويشكل المدينة الفاضلة، فيقول: «يأتي غداً فينا! ويكمل في مسيرة شعبنا المقهور دينه/ يأتي غداً فينا/ ويجعلنا له جنداً وحاشية/ ويجعل من منازلنا حصونه/ يأتي غداً فينا» (نفس المصدر: 485).

والشاعر بهذه الطريقة يحاول تهدئة آلام الناس وهمومهم بالتالي لا يمكنه من إخفاء فرحته وغبطته من مجيء المنقذ إذ أن هذا المنقذ هو الذي يسمح عبدة الشعب ويحقق أحلامهم ويمنحهم الابتسامة، فيقول: «ويأتي غداً.../ ويجف دمعهم ويبتسمون في الحلم الجميل» (نفس المصدر: 486).

فمنقذ حجازي هو الشخص الذي ينعم بمجيئه الشعب ويسعدون بوجوده: «نحيا ونسعد بالحياة» (نفس المصدر: 497). يتعبّر آتشي من أبرز شاعر في ساحة الأدب الفارسي الحديث يمتاز شعره بالحنين والبحث عن المثالية. يحفل شعره بأسى البشرية وآلامها. فاهتمامه الرئيس هو تحقيق أحلام الناس وإزالة الصعوبات والآلم من حياتهم دون أن ينتمي إلى أي إيديولوجية محددة. تحدث آتشي كثيراً عن مدينته الفاضلة. استطاع الشاعر أن يوفق بين أفكاره المثالية عن المدينة الفاضلة والمزاج الاحتجاجي في نفسه.

ومن الطبيعي أن تختلف مدينة الشاعر الفاضلة عن عالمه الذي يعيش فيه حالاً. فالمدينة الفاضلة بلاد ذات طبيعة خلابة وسهول فسيحة ومروية ومفعمة بالسلم والأمن والعدل والصدافة. فيذكر الشاعر بلدة "باغ زرین" باعتبارها جزءاً من مدينته الفاضلة ويأسي لاغترابه عنها، ويقول:

«من در سفر زیسته‌ام/ من با سفر زاده شده‌ام/ شگفتا اینک توقی نامیمون پس از سفری مقدس/ مرا فرسوده کرده است/ من دل‌بسته شده‌ام/ دل‌بسته باغی زرین در سرزمینی دور/ باغی زرین با ساقه‌های لطیف لبخندها، شکوفه‌های آشتی، جویبار پنجه‌ها/ که از نسیم نفس‌ها ونوازش‌ها متلاطم است» [أنا عشت في السفر/ أنا ولدت بالسفر/ عجباً الآن أتوقف وقوفاً مشئوماً بعد سفر مقدس/ انهكني/ أنا قد عشقت/ عاشق بستان ذهبي في بلد بعيد/ بستان ذهبي بجذوع لطيفة من الابتسامات/ وأزهار السلم ونهر كفوف تموج من نسيم الأنفاس باللطف والملاطفة] (آتشي، 1386: 57).

فالمدينة الفاضلة لدى آتشي تشبه قريته في كل الوجوه وربما رسم مدينته الفاضلة بناء على لذاته وأحلامه أوان الطفولة والطبيعة الجميلة التي ترتفع فيها. فيقول:

«تتور گرم وبوی نان تازه عالمی دارد/ ودر شبهای مهتابی/ به روی تری گندم نیمه شبها/ شروه خواندن/ پای خرمنها غمی دارد/ هنوز ان سوی کوه آوازهایی ساده می‌خوانند که مهتاب/ چمنزاران رؤیای نجیب باز یاران را/ تماشا می‌کند از کوچه‌های آب/ هنوز آنجا/ خبرهاییست» [التتور الحار وعطر الخبز الطازج له مذاق خاص/ وفي الليالي المقمرة/ على القمح وقت المساء/ التغني/ له أسي/ مازالت الألحان بسيطة تأتي من قبل الجبل/ بأن القمر ينظر إلى مراعي أحلام الأصدقاء/ من أزقة الماء ما زالت هناك أخبار] (آتشي، 1386: 189-188).

ويرى الشاعر في المنام سفره إلى البلاد الغربية قرراً عبثاً ويقرر الرجوع إلى بلدته المثالية. فلذلك بعد حياته في المدينة يغسل بدنه في بحر المسمى بـ"كيودفام" كي يعود إلى وطنه المثالي طاهراً نقياً.

«ستاره برنیامده است/ رؤیای مژده بار دوشم برفی/ برشاخه برهنه آفتاب بود/ تمام این سفر سخت/ تا این چکاد برفین را/ به دنبال آب آمده‌ام/ دنبال آبهایی که چشمه در عطشی کور داشتند/ ستاره برنیامده/ تالابها/ تاریک وخالیند» [النجمة لم تبتزغ بعد/ حلم البشارة كان على غصن الشمس/ كل هذا السفر الصعب/ أتيت أبحث عن الماء/ أبحث عن المياه التي احتوتها البئر/ النجمة لم تبتزغ/ المستنقعات/ خالية ودامسة] (آتشي، 1386: 83).

### نتيجة البحث

يستفاد مما تقدم عن الحنين إلى الماضي بأن المصدر الحقيقي لها عاطفة الإنسان نحو حاضره الأليم المفعم بما يسخطه ويوجعه من ناحية، ونحو ماضيه المليء بما يرضيه ويفرحه من ناحية أخرى. فالإنسان الذي يميل إلى الحنين إلى الماضي يرى كل شر في الحاضر وكل خير في الماضي؛ لذلك يحاول أن ينسى الأول الممل ويتذكر الثاني المنعش، إذن تحدث علاقة جدلية بين سلبية الزمن الراهن وإيجابية الزمن المنصرم.

ويستنبط مما أسلف ذكره أن حجازي وآتشي الشعاران البارزان في الأدبين العربي والفارسي دارت أشعارهما حول الاغتراب. فاتباع أصول ومبادئ كالعودة إلى أحضان الطبيعة والتأكيد على التحرر من رقة القوانين جعلت معاني الحنين محور شعرهما. لذا ككل الشعراء الرومانسيين هاجرا من مكانهما وزمانهما المحدود إلى أمكنة وأزمنة لا حدود لها بالتالي لجأ الشاعر إلى الزمن القديم والآتي وأحياناً إلى عالم الخيال وأحضان الطبيعة.

فكلا الشعارين استخدموا الرموز الطبيعة للتخفيف من حدة آلام الاغتراب وصدماته النفسية. لذا نراهما يشتركان في خلق معاني الحنين من مثل الاغتراب من الوطن والطفولة ورسم المدينة الفاضلة. لغة الشعارين كليهما في نهاية الإتقان والمهارة والبلاغة وبعيدان عن كل ضروب الغموض والتعقيد، فاستخدام لغة الخطاب بهدف ايجاد علاقة قوية بالمخاطب من سماتهما المشتركة. فحجازي وآتشي كلاهما يجذبان المتلقيين من خلال استخدام الأساليب الفنية المتعددة من مثل الحوار والتكرار والاستفهام والموسيقى.

كما نعلم قضى آتشي وحجازي قسطاً من عمرهما بعيداً من الوطن، فإن الوطن في شعرهما يعبر عن هويتها الشخصية والجماعية. فكلا الشاعرين قد سئم مظاهر الحداثة في الحياة المدينة ورأيا أن الرجوع إلى الوطن هو العودة إلى الأصل والهوية الإنسانية. ينفرد آتشي من الحداثة وكل مظاهرها ويرى أن العودة إلى مسقط رأسه تضاهي الذهاب إلى المدينة الفاضلة. وحجازي متبرم أيضاً من مكانه وزمانه الحالي وهو يسعى ويثابر من أجل العودة إلى بلده المثالي.

مع فارق أن حجازي تعود مع مظاهر الحداثة وتغيرت نظرته إليها، لذا قام برسم مدينة فاضلة تقوم على الصناعة والحضارة وتحفز الناس على الحياة في ظل التطور والتقدم. من هنا نجد في قصيدتي "أغنيات طيار شهيد" و"الحديد والجسد" يتحدث عن آلات وأدوات أتت بفعل الحداثة والتطور.

لكن آتشي خلافاً للحجازي لم يقترب من العالم الحديث. فهو رغم امتلاكه للشعور الإنساني القوي، يرى نفسه وحيداً أمام شبح التطور والتحضر. حتى أصبح يشعر بالحنين والحنين. وهو ما انفك يحمل في قلبه حلم الرجوع إلى بلده القديم من هنا نجد الشاعر يختار الانسحاب للهروب من آثار الحداثة المدمرة ويلجأ إلى ما يسميه بـ"كأس الحليب الخام".

#### المصادر

- آتشي، منوتشهر، (1386هـ.ش)، المجموعة الشعرية، مطبعة نگاه، طهران.
- أبو غالي، مختار علي، (1995)، المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، بيروت.
- تاجديني، محمد رضا، (1384هـ.ش)، «منوتشهر آتشي نيمای جنوب»، شهرية حافظ، العدد 22.
- تيمي، فرخ، (1385هـ.ش)، بلنج دره ديزاشكن [نمر وادي ديزاشكن]، مطبعة ثالث، طهران.
- ناصيف، إميل، (1996)، أروع ما قيل في الوجدانيات، دار الجبل، بيروت.
- الجازي، زياد جازيز، (2011)، ظواهر أسلوبية في شعر أحمد عبدالمعطي حجازي، رسالة ماجستير، جامعة موته.
- الجبوري، يحيى، (2007)، الحنين والغربة في الشعر العربي: الحنين إلى الأوطان، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، بيروت.
- حجازي، أحمد عبدالمعطي، (1982)، الديوان، دار العودة، بيروت.
- حموده، حنان محمد، (2006)، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر أحمد عبدالمعطي حجازي نموذجاً، عالم الكتب الحديث، الأردن.
- رجب، محمود، (1978)، الاغتراب، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- سكاف، ممدوح، (1979)، «وقفه مع الشاعر حجازي في قصيدة عرس المهدي»، مجلة الآداب، العدد 10، بيروت.
- سه ير، رابرت، وميشل لوي، (1383هـ.ش)، رمانتيسم وتفكر اجتماعي [الرمانسية والفكر الاجتماعي]، ترجمه يوسف آبادي، فصلية أرغنون، السنة الأولى، الرقم الثاني، طهران.
- شامي، يحيى، (1999)، موسوعة شعراء العرب، دار الفكر العربي، بيروت.
- شيخ، جمال الدين، (1981)، «قراءة في شعر أحمد حجازي»، مجلة الآداب، العدد 1، بيروت.
- عباس، إحسان، (1978)، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- عمر، أحمد مختار والآخرين، (1989)، المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- فورست، ليليان (1380هـ.ش)، رمانتيسم [الرمانسية]، ترجمه مسعود جعفري، نشر مركز، طهران.
- ميرأحمدي، رضا والآخرين، (2012)، أشكال الحنين إلى الماضي في شعر بدر شاكر السياب، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد 11

Archer, J. and others, (1998), Duration of Homesickness Scale, British Journal of Psychology.